(٤٤) عمرو بن عثمان المكي[١]

ذكر أبي عبد الله عمرو بن عثمان المكي رحمة الله عليه:

كان رحمه الله من أكابرِ أهل الطريقة، وساداتِ القوم ومحتشميهم، ومن المُعتبرين فيما بينهم، وانقاد له المشايخُ، وقبلوا كلامه، وكان مخصوصًا بالرياضة والورع، مَوصوفًا بمعرفة الحقائق واللطائف.

وكان حميدَ الخصائل، رضيَّ الشمائل، ما سلكَ طريقَ السُّكر؛ بل كان في الصحو دائمًا.

وله تصانيف جيدة.

لقي أبا عبد الله النِّباجي، وأبا سعيد الخراز وغيره.

وكان مُريدًا للشيخ الجنيد رحمه الله.

مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومئتين، وكان شيخَ الحرم الشريف سنين مُتطاولة.

أقول: ونقل عنه أنه قال: كلُّ ما توهَّمه قلبُك أو سنحَ في مجاري فكرك، أو دخل معارضات قلبك من حسنٍ أو بهاءٍ أو أُنسٍ أو ضياءٍ أو جمالٍ أو شيخٍ أو نورٍ أو شخص أو خيالٍ فاللهُ تعالى بعيدٌ عن ذلك، مُنزَّهٌ منه، ألا تسمعُ إلى قوله

---

(١) طبقات الصوفية ٢٠٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩١، أخبار أصبهان ٢/ ٣٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣، الرسالة القشيرية ٨٠، مناقب الأبرار ٤٣٢، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٠، المنتظم ٦/ ٩٣، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٣٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٧، العبر ٢/ ١٠٧، دول الإسلام ١/ ١٨١٤، مرآة الجنان ٢/ ٢٢٧، طبقات الأولياء ٣٤٣، العقد الثمين ٦/ ٤١١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠، ١٨٤، نفحات الأنس ١٢٦، طبقات الشعراني ١/ ٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥.

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى ١١] **وقوله**: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤] [**والله أعلم**].

وقال: العلمُ قائدٌ، والخوفُ سائقٌ، والنفسُ حَرونٌ بين ذلك، جموحٌ خدّاعة روّاغة، فاحذرها، وراعها بسياسةٍ، وسقها بتهديدِ الخوف، يتمُّ لك ما تريد.

نقل أنه رأى الحسين بن منصور الحلاّج يكتبُ شيئًا، فقال له: ماذا تنسخ؟ قال الحسين: أريد أن أنسخُ[1] شيئًا أجعله مُقابلاً للقرآن. فدعا عليه الشيخ عمرُو بن عثمان، فقال المشايخُ: أصابَ الحسينُ ما أصابَهُ بذلك الدعاء.

نقل أنه كتبَ من مكَّةَ شرَّفها الله إلى الجنيد والحيري والشبلي رحمهم الله، وهم في العراق، ومضمونُ الكتاب: اعلموا يا جماعةَ مشايخ العراق وأعزَّتهم[2] أنَّ من يطلبُ الحرمَ الشريف وزيارةَ الكعبة شرّفها الله تعالى فيقال له: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧] ومن كان طالبًا لمقام القُرب، فيخاطبون بـ: لم تكونوا بالغيه إلاّ بشقِّ الأرواح.

وكتب في آخر الرقعة: من عَمرو بن عثمان المكّي الساكن في الحرمِ الشريف إلى مشايخ العراق؛ لتعلموا أنَّ في هذا الطريق ألفي جبلٍ من النارِ المُحرقة، وألفين من الماءِ المُغرقِ المُهلك، فمن له إرادةُ الشروعِ في هذا الطريق فعليه العبورُ من الجبال النارية والمائية، ومن ليس له ذكورةَ الخوض فيها فليقتصرِ الدّعوى؛ فإنَّ الدَّعوى لا تُجدي نفعًا.

ولما وصل الكتابُ إلى الجُنيد رحمه الله جمعَ المشايخ رحمهم الله، وقرأه عليهم، ثم قال: ماذا أراد بالجبال؟ قالوا: أراد بالجبال النارية الفناء، وبالمائية البقاء، يعني حتى لا يفنى السالكُ ألفي مرة، ثم لا يبقى ألفي مرة لا يحصل له مقام القرب. فقال الجنيد رحمه الله: أمّا أنا فما عبرتُ من هذه الجبال إلاّ

---

(١) في (ب): ماذا تنسخ أشياء أجعله.

(٢) في (أ): العراق وأعزته.

واحدةً. فبكى الشبلي، وقال: طوبى لك، فإنَّك قد عبرت عن واحدةٍ، وأنا فما اطَّلعتُ عليها من بعيد بعدُ.

نقل عن بعض الأكابر أنه سأل عمرًا عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢] فقال: إذا وصل العبد إلى أن ينظرَ إلى عظمة الله تعالى، وعلمِه، ووحدانيته، وجلاله، وربوبيته انفتحت عينه، فبعدَ ذلك لا ينظرُ إلى شيءٍ إلاّ ويرى اللهَ تعالى فيه ويشاهده.

أقول: معناه: أنه إذا حصلَ للعبد هذا المقامَ لا ينظرُ في شيءٍ إلاّ ويراه مظهرًا لقدرةِ الله تعالى، دالاً على عظمة الله وجلاله، شاهدًا على ألوهيته وربوبيته، متعلّقًا بعلمه وإرادته، فحينئذ يصيرُ نظرُهُ وعلمه به وسيلةً للعلمِ بالصانع الحكيم الفردِ القاهر العليم، وبهذا ينكشفُ معنى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]. **والله أعلم..**

ومن كلامه أنه قال: تفكّروا في شيءٍ من عظمةِ الله، أو بعضِ صفاته.

وقال: الجمعُ خطابُ الله تعالى عباده في الأزل، والتفرقةُ عبارةٌ عن التعبير عن ذلك الخطاب.

وقال: أول المشاهدة زوائدُ اليقين، وأول اليقين آخرُ الحقيقة.

وقال: التصوفُ أن تشتغلَ في كلِّ وقتٍ بما هو أولى في ذلك الوقت.

وقال: الصبرُ هو الوقوفُ مع الله تعالى، وتحمّلُ البلاءِ بالرضا.

نسألُكَ اللهم أن تجعلَنا من الصابرين على البلاء، والشاكرين على النعماء، المتوكّلين عليك في البأساءِ والضراء، المتوسّلين إليك بأشرفِ الأنبياء محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات.

* * *